مظاهر وتجليات عناية المغاربة بالدراسات القرآنية
الوقف القرآني أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور يوسف تغزاوي(*)
المملكة المغربية
جامعة محمد الأول - وجدة - الكلية المتعددة التخصصات - الناظور
taghzaouiyoussef@gmail.com

Manifestations and manifestations of Moroccans' attention to Quranic studies - the Quranic endowment as a model

Assistant Professor Dr. Youssef Taghzawi
The Kingdom of Morocco Mohammed I University , Oujda , The Polytechnic College , Nador

الملخص:

تعد ظاهرة الوقف إحدى الظواهر المميزة للغة العربية، وكذلك اللغة العبرية، قال الأستاذ حنون مبارك: ((ولأن للوقف في اللغة العربية مكانة وعناية خاصتين لما له من تأثير مباشر على اللفظ، إذ يترك أثراً خاصاً على المتواليات الصوتية الموقوف عليها- وهذا الأمر لا نظير له في اللغات الأخرى باستثناء العبرية فيما نعلم-))[١].

وبما أن القرآن الكريم يعد عند أهل الإسلام أصل الأصول، فقد خدمه أهله بما لم يخدم كتاب في العالمين، حيث ظهرت علوم عدة خدمت النص القرآني؛ ومن بين هاته العلوم علم الوقف الذي يعالج جانباً مهماً من أداء تلاوة القرآن، كما يساهم في استقامة المعنى، إذ بمعرفة ما يجب الوقف عليه وما يقبح يظهر المعنى المراد؛ إذا لا يتبين معنى كلام ويتم على أكمل وجه إلا بذلك، فربما قارئ يقرأ ويقف قبل تمام المعنى فلا يفهم هو ما يقول ولا يفهمه السامع، بل ربما يفهم من ذلك غير المعنى المراد، وهذا فساد عظيم، ولهذا اعتنى بعلمه وتعليمه والعمل به المتقدمون والمتأخرون وألفوا فيه من الدواوين ما لا يعد كثرة، ومن لم يلتفت لهذا ويقف حيث شاء فقد خرق الإجماع وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد[٢].

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، أصل الأصول، الوقف القرآني، الدراسات القرآنية، المغاربة، المظاهر والتجليات.

Abstract:-

The waqf phenomenon is one of the distinctive phenomena of the Arabic language, as well as the Hebrew language, Professor Hanoun Mubarak said: ((Because the endowment in the Arabic language has a special status and care because it has a direct effect on the pronunciation, as it leaves a special effect on the phonemic sequences on which it is arrested - and this matter is unparalleled. In other languages, except for Hebrew, as far as we know)).

And since the Noble Qur'an is regarded by the people of Islam as the origin of the fundamentals, its people have served it in a way that did not serve a book in the two worlds, as several sciences appeared that served the Qur'an text. Among these sciences is the science of endowment, which deals with an important aspect of the performance of the recitation of the Qur'an, and also contributes to the integrity of the meaning, because by knowing what a waqf is required and what is abhorrent reveals the intended meaning. If the meaning of a speech does not become clear and complete without that, then perhaps a reader reads and stands before the meaning is complete, and he does not understand what he says and the listener does not understand it. There are collections in it that are not counted as a large number, and whoever does not pay attention to this and stands where he wishes has violated the consensus and strayed from mastering the reading and completing the intonation.

Key words: The Noble Qur'an, the origin of the fundamentals, the Qur'anic endowment, Qur'anic studies, the Moroccans, manifestations and manifestations.

١- تعريف الوقف:

١-١- الوقف لغة:

الوقف والحبس والمنع عند أهل اللغة بمعنى واحد، قال الأزهري في تهذيب اللغة: ((وقف: قال الليث: الوقف: مصدر قولك: وقفت الدابة ووقفت الكلمة وقفاً، وهذا مجاوز، فإذا كان لازماً قلت: وقفت وقوفاً. وإذا وقفت الرجل على كلمة قلت: وقفته توقيفاً. وفي الحديث الحسن: إن المؤمن وقاف، متان، وليس كحاطب ليل... وقال أبو زيد: أوقفت الرجل على خزية: إذا كنت لا تحسبه بيدك))[٣]. قال الفيروزآبادي: ووقف يقف وقوفاً: دام قائماً. ووقفته أنا وقفاً: فعلت به ما وقف. كوقفته وأوقفته، والقدر: أدامها وسكنها، والنصراني وقِيفي كخلِيقي، خدم البيعة. وفلان على ذنبه... أطلعه، والدار حبسه كأوقفه وهذه ردية. والموقف: محل الوقوف ومحلة بمصر[٤].

والحبس عند الفيروزآبادي هو المنع... "والحابسة والحبس الإبل كانت عند البيوت لكرمها". وحبسان: ماء قرب الكوفة، وتحبيس الشيء: أن يبقى أصله ويجعل ثمره في سبيل الله[٥].

من خلال التعاريف السابقة نخلص إلى أن الوقف والحبس والمنع بمعنى واحد. وقد يطلق الوقف ويراد به الإقلاع والسكوت، قال الداني: قال الجوهري: أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أي أقلعت... وحكى أبو عمرو وقفت أي سكت[٦].

١-٢- الوقف اصطلاحاً:

إن الوقف اصطلاحاً يختلف باختلاف العلوم والفنون، فقد تعدد استعماله في مجالات عدة، لكن استعماله عند النحاة يختلف عن استعماله عند الفقهاء وعند القراء، لذا سنقف مع الوقف عند بعض من استعمل هذا المصطلح.

١-٣- الوقف في اصطلاح النحويين:

هو: ((قطع النطق عند آخر الكلمة، فإن كان الموقوف عليه منوناً ففيه ثلاث لغات، حذف التنوين مطلقاً، وتسكين ما قبله، نحو: قام زيد، ومررت بزيد، وإبدال التنوين من

جنس حركة ما قبله، نحو: قام زيدو ورأيت زيداً ومررت بزيد، وحذفه بعد ضمة أو كسرة وإبداله ألفاً بعد فتحة، وهذه هي اللغة الفصيحة))[٧].

١-٤- الوقف في اصطلاح الفقهاء:

يعرفه مصطفى بن حمزة بقوله: ((وهو أهم صيغ الإحسان المستدام، وتقوم فكرته على التبرع بمنفعة الشيء الموقوف وحبس أصله عن التداول، فيكون من وقف عليه مستفيداً من المنفعة دون أن يمتلك الأصل الموقوف أو يتصرف فيه ببيع أو شراء أو توريث أو بأي صورة من صور التفويت))[٨].

١-٥- الوقف في اصطلاح القراء والمجودين:

وهو عند الشيخ إبراهيم المارغني: ((قطع الصوت عن آخر الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة فلا بد من التنفس فيه، ولا يقع وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسماً، بخلاف السكت عند القراء فإنه قطع الصوت عن الساكن زمناً دون زمن الوقف من غير تنفس، ويقع في وسط الكلمة وفيما اتصل رسماً... فإن لم يقصد القارئ استئناف القراءة بل قصد تركها والانتقال منها إلى أمر آخر سمي بالقطع، وكثير من المتقدمين يطلقون القطع على الوقف))[٩].

يتبين من خلال تعريف المارغني للوقف أن هناك تبايناً بينه وبين السكت والقطع، بخلاف الداني أبي عمرو الذي جعل كلا من الوقف والقطع والسكت بمعنى واحد[١٠].

ورغم الجهود المتميزة التي بذلها القدماء في دراستهم لظاهرة الوقف، فإن التمثيل الصواتي لهذه الظاهرة ظل مهمشاً وثانوياً، حيث إنه كان أحادياً وخطياً، وكان التحليل القطعي هو السائد المسيطر، إلى أن ظهر الاهتمام بالملامح التطريزية فأصبح التمثيل متعدد المستويات والأسطر والأبعاد.

١-٦- الوقف في اصطلاح اللسانيين المحدثين:

قال مبارك حنون في تعريفه للوقف: ((إذا كانت القراءة قراءة أي نص كيفما كانت طبيعته، قد تفترض تواصل الأصوات واسترسالها وتواليها من غير ما حاجز يحول دون انسياب الموجات الصوتية وتدفق السلسلة اللفظية، فإن الوقف يعد بمثابة انقطاع الصوت

والسلسلة اللفظية المتواصلة وتقطيع السلسلة الكلامية إلى أجزاء، ومن ثمت فهو توقف عن القراءة يتخلل هذه المتواليات اللفظية في أماكن ومواضع محددة، وتوقف يفصل بعض الكلمات المتجاورة عن بعضها البعض، هذه الانقطاعات والفصول توحي بأن القول يتألف من تعاقب ألفاظ تتخللها في مواطن ما سكوتات، وكأن القول يتكون من منطوقات وسكوتات، وإذا اعتبرنا قطع الصوت ظاهرة صوتية، أمكننا القول بأن الكلام أو القول يتألف من سلاسل لفظية تخترقها وقوف تقع عند آخر اللفظة، وعليه فإن السلسلة الكلامية لا تتسم بالاتصال والامتداد والاستطالة، وإنما تتسم بقابليتها لأن تقطع إلى أجزاء ولأن تقسم إلى فصول))[١١].

٢ـ أهمية الوقف وحكمه:

بعدما كان علم الوقف في القرآن الكريم علماً بالقواعد التي يعرف بها مكان الوقف وما يصح منه وما لا يصح وأن الغاية منه صون النص القرني من أن تنسب فيه كلمة إلى غير معناها، ينبغي للقارئ أن يولي هذا العلم عناية فائقة واهتماماً كبيراً، ولذلك نجد كثيراً من العلماء حضوا على تعلمه ورغبوا في ذلك بل إن بعضهم اشترط على المجيزين ألا يجيزوا أحداً إلا بعد معرفة الوقف، قال الداني: ((اشترط كثير من العلماء على المجيز ألا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء لأن به تعرف معاني القرآن، ولا يمكن استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل))[١٢].

وما دام أن الوقف له ارتباط بمعاني القرآن الكريم، وحيث إن الواقف إذا أخطأ في موضع من مواضع الوقف يترتب على خطئه إفساد المعنى، فقد رأى بعض العلماء وجوب تعلمه، وآخرون حملوا تعلمه على السنية، والقائلون بالوجوب دليلهم على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[١٣]، حيث إن علياً كرم الله وجهه لما سئل عن معنى الترتيل في هذه الآية أجاب بقوله: ((الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف))، وهذا دليل على وجوب تعلمه ومعرفته. و جاء في رواية أخرى أخرجها أبو جعفر النحاس أن خطيباً خطب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما ثم وقف على كلمة يعصهما، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من وقوف هذا الرجل على هذه الكلمة، وقال له: بئس خطيب القوم أنت، قل ومن يعص الله ورسوله فقد

غوى، وقد كان هذا الوقف القبيح سبباً لكراهة النبي صلى الله عليه وسلم واستنكاره، إذ جمع الخطيب بوقفه هذا بين حال من أطاع ومن عصى، فإذا كان مثل هذا الوقف مكروهاً مستبشعاً في الكلام الجاري بين المخلوقين، فهو في كلام رب العالمين أشد بشاعة وأكثر قبحاً))[١٤].

وفي هذا الصدد، يقول ابن الجزري:

وبعد تجويدك للحروف ..... لابد من معرفة الوقوف

قال الشيخ الحاج محمد بن علي فيل شرحه لهذا البيت: ((ولهذا اعتنى بعلمه وتعليمه والعمل به المتقدمون والمتأخرون وألفوا فيه من الدواوين ما لا يعد كثرة، ومن لم يلتفت لهذا ويقف حيث شاء فقد خرق الجماع وحاد عن إتقان القراءة وتمام التجويد))[١٥].

أما القائلون بسنية تعلم الوقوف، فقد استدلوا بما رواه ابن عمر: ((لقد عشنا برهة، من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محم صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا جزره وما ينبغي أن يوقف عنده))[١٦].

٢-١- نشأة الوقف وتطوره:

إن العناية بظاهرة الوقف بدأت مبكراً، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ نزول الوحي عليه حرص كل الحرص على أن يبلغ أصحابه النص القرآني كما علمهم قواعد أداء هذا النص، ومنها أوقافه؛ وتروي أم سلمة[١٧]؛ أنه صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي، مثل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف. وقد أخذ الصحابة الكرام عنه ذلك وعرفوا مواضع الوقف الصحيح الذي يخدم المعنى ويظهره؛ ثم جاء التابعون وكانوا حريصين على معرفة المواضع التي ينبغي أن يقفوا عليها عند قراءة القرآن، واستمرت العناية بالوقف بعد التابعين من قبل القراء السبعة، ومن هنا يتبين أن العناية بالوقف جاءت ابتداء توقيفية عن رسول الله ﷺ من منطلق الحرص على سلامة المعنى، ثم تبعه في ذلك الصحابة والتابعون والقراء.

إن الوقف ارتبط في نشأته بكل ما ارتبطت به الظواهر اللغوية من حيث أسباب العناية والاهتمام، وهي أسباب دينية في المقام الأول، حيث عني بالنص القرآني من حيث لغته وأداؤه، وتفسيره، وفهم أحكامه.

وتجدر الإشارة إلى أن تناقل هذا العلم "الوقف" كان مشافهة منذ بدايته إلى أن جاء عصر التدوين، فبدأ العلماء بالتأليف فيه.

قال أبو عمر الداني: ((واستمر السلف الصالح من الصحابة والتابعين، يتناقلون مسائل هذا العلم مشافهة إلى أن جاء عصر التدوين فبدأ العلماء بالتأليف فيه، وأول من نعلم أنه ألف فيل الوقف والابتداء، شيبة بن نصاح المدني الكوفي (ت: ١٣٠هـ/٧٤٧م)، قال ابن الجزري: ((وهو أول من ألف في الوقت)) ولم يصلنا كتابة "الوقف" لنعرف كيف كان منهج التأليف فيه أو المادة التي كانت منطلقاً في هذا المضمار.

ومما يلفت الانتباه أم كل من ألف في الوقف والابتداء، كانوا من القراء والنحويين وقل أن نجد إماماً فيل القراءة أو اللغة إلا وله مشاركة في التصنيف في هذا العلم))[١٨].

٢-٢- أقسام الوقف:

إن الدارس للوقف ليجد عند علمائه اختلافاً حول تقسيماته وأنواعه؛ فمنهم من جعله قسمين اختيارياً واضطرارياً[١٩]، وجعل باقي الأقسام مندرجة تحتها، ومنهم من جعله أربعة[٢٠] اضطرارياً واختيارياً، وانتظارياً واختبارياً وجعل باقي الأقسام من حسن وتام إلخ.. مندرجة تحت الاختياري، ومنهم من جعل القسمة ثنائية[٢١] إلى قسم أول وإلى قسم ثان، فجعل للأول الاختياري والاضطراري والترنم والاستئناتي وكذا الوقف والسكت، وجعل للثاني التام والحسن والكافي والقبيح والكامل والناقص...

وسنحاول أن نميز بين هذه الأنواع كلاً على حدة.

٢-٢-١- الوقف الاضطراري:

وهو ما يعرض للقارئ بسبب ضيق النفس أو العطاس أو السعال أو النسيان[٢٢]، وهو عند ابن يالوشة عند ضيق النفس والتعب[٢٣]، وبما أن هذا النوع من الوقف خارج عن إرادة القارئ فلا إثم فيه عليه، ولذا يجوز له أن يقف على أي كلمة متى اضطر إلى ذلك وإن

لم يتم المعنى.

٢-٢-٢- الوقف الاختياري:

((يكون الوقف اختيارياً إذا قصده القارئ بمحض إرادته من غير عروض سبب خارجي))[٢٤].

٢-٢-٣- الوقف الانتظاري:

((يكون لمن أراد أن يجمع عدة روايات من القراءات المتواترة فيقف على كل كلمة ليعطف عليها غيرها بوجوه القراءات المختلفة))[٢٥].

٢-٢-٤- الوقف الاختباري:

ويسمى كذلك التعريفي، وهو: ((عندما يطلب لمعلم من تلميذه الوقف على كلمة لبيان المقطوع والموصول والثابت والمحذوف إلى غير ذلك بغرض تعليمه كيف يقفل إذا اضطر إلى ذلك))[٢٦].

وما بقي من أنواع الوقف هو المشهور عند العلماء وهي كالتالي:

أ- الوقف التام:

يقول الداني: اعلم أن الوقف التام هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده وذلك عند تمام القصص وانقضائهن موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكذبك ما أشبهه مما تنقضي القصة عنده ويوجد في أخرى، وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، هذا هو التمام، لأنه انقضاء كلام بلقيس، ثم قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.[٢٧]

وهو نوعان: وقف تام لازم، ووقف تام مطلق.

• أما الوقف التام اللازم فيلزم الوقوف عليه والابتداء بما بعده إذا لم يوجد ما يمنع ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[٢٨]،

فقيل هذه الآية يلزم الوقف على قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، والابتداء بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾، حتى لا يتوهم أن شدة العقاب من الله تعالى تكون للفقراء المهاجرين.

- أما الوقف التام المطلق، فهو الذي يحسن الوقف عليه وكذلك يحسن الابتداء بما بعده، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢٩]، فيقف القارئ على قوله: (رَاجِعُونَ)، ثم يبتدأ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٣٠]. وقد يوجد الوقف قبل رأس الآية أو في وسط الآية وبعد انقضاء الآية، وقد يكون تاماً على تأويل غير تام على آخر.

ب- الوقف الكافي:

يعرفه الداني بقوله: ((واعلم أن الوقف الكافي هو الذيل يحسن الوقوف عليه أيضاً، والابتداء بما بعده؛ غير أن بعده نتعلق به من جهة المعنى دون اللفظ كما ذكرنا، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها... وكذلك ما أشبهه لأنه معطوف بعضه على بعض، فما بعده متعلق بما قبله كما قلناه. وكذلك كل كلام قائم بنفسه مستغن بعامل ومعمول فيه يفيد معنى يكتفي به فالقطع عليه كافٍ))[٣١].

وهو أكثر وروداً في القرآن الكريم، كما أنه يتفاضل في الكفاية حيث يكون في بعض المواضع أكفى من بعض، يقول زكريا العبد نقلاً عن ابن الجزري في التمهيد: ((والكافي يتفاضل في الكفاية كتفاضل التام، فمن المقاطع التي بعضها أكفى من بعض قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٣٢]. فالقطع على (بِكُفْرِهِمْ) كاف، وإن كنتم مؤمنين أكفى منه، وكذلك القطع على ربنا تقبل منا كتفٍ، و﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣٣]، أكفى منه))[٣٤].

ج- الوقف الحسن:

((هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والوقوف على ذلك وشبهه حسن لأن المراد مفهوم، والابتداء بقوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، لا يحسن لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح، لأنه تابع لما

قبله، ويسمى هذا الضرب صالحاً إذ لا يتمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام ولا كاف لأن نفسه ينقطع دون ذلك))[٣٥].

د- الوقف القبيح:

((هو الذي لا يعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى (بسم) و(مالك) و(رب) و(رسل) وما شبهه، ولابتداء بقوله: (الله) و(يوم الدين) و(العالمين) و(السموات) و(الله). لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إل أي شيء أضيف، وهذا يسمى وقف الضرورة لتمكن انقطاع النفس عنده والجلة من القراء أهل الأداء ينهون على الوقف على هذا الضرب وينكرونه ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أنم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده، فإن لم يفعل ذلك فلا حرج عليه))[٣٦].

وبالإضافة إلى هذه الأقسام فقد ذكر بعض العلماء أنواعاً أخرى من أنواع الوقف، وهي: الأتم والناقض والأنقص والكامل، وتعريف كل منها على النحو التالي:

هـ- الوقف الأتم:

((وهو ما لا يتعلق اللاحق فيه من القولين بالسابق معنى، كما لا يتعلق به لفظاً))[٣٧].

و- الوقف الناقص:

((وهو أن يكون ما قبله مستغنياً عما بعده، ولا يكون ما بعده مستغنياً عما قبله))[٣٨].

ز- الوقف الأنقص:

((إذا كان الناقص بعضه أقبح من بعض، كالوقف على ما يحيل المعنى فهو الأنقص))[٣٩].

ح- الوقف الكامل:

وهو ((اللفظ التام المستغني عن تاليه استغناء كلياً كما فيل آخر السور))[٤٠].

استنتاج:

يتبين من خلال دراستنا لتقسيمات الوقف وأنواعه، أن الوقف إما أن يكون له تعلق باللفظ أو تعلق بالمعنى.

وعلى هذا فالوقف ظاهرة تطريزية تنظم الكلام إلى وحدات إخبارية ووحدات قولية أو نحوية، كما أنه ظاهرة تطريزية كذلك تنظم الكلام إلى وحدات إيقاعية، فالإيقاع له دور في تنظيم مستويات الأقوال وبنيتها.

٣ـ علامات الوقف:

لما كانت الغاية من معرفة الوقف وأنواعه هي صيانة النص القرني من اللحن المفضي إلى فساد المعنى، فإن العلماء جعلوا لخدمة هاته الغاية رموزاً تميز بين أنواع الوقف، أطلق عليها علامات الوقف، وقد ألفت كتب فيها ومؤلفات، ويعتبر ابن طيفور السجاوندي أول من وضع نظاماً متكاملاً من العلامات الوقفية، يقول الدكتور أحمد البابيي: ((وكان ابن طيفور السجاوندي أول من وضع نظاماً متكاملاً من العلامات الوقفية، ويقدم لائحته المعتمدة في المصاحف على النحو الآتي))[٤١]: ((نعلم ما لا وقف عليه بعلامة "لا" وكل آية عليها وقف نتجاوزها ولا نذكرها تخفيفاً، وكل آية قيل لا وقف عليها والوقف صحيح نعلمها أيضاً احتياطياً، ونقيد اللازم بحرف "م" والمطلق بحرف "ط" والجائز بحرف "ج" والمجوز بحرف "ز"، والمرخص لضرورة بحرف))))[٤٢].

من خلال نص السجاوندي نخلص إلى أنه ذكر مجموعة من العلامات الخاصة بالوقف وهي:

- "لا": وهي علامة للوقف الممنوع وهو المتعلق بما بعده تعلقاً يمنع من الوقف عليه ومن الابتداء بما بعده، لأنه لا يفهم المراد منه ومثاله الوقف على يقولون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾[٤٣]، لأن المستمع يتوهم أن القائل هم المتوفون في حين أن القائل هم الملائكة.
- "م": وهي علامة الوقف اللازم الذي قد يوهم خلاف المراد إذا وصلا بما بعده، كالوقف على "الظالمين" في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾[٤٤]، لأنه إن لم نقف على الظالمين لأوهم أنهم الذين آمنوا وهاجروا.
- "ط": وهي علامة للوقف المطلق الذي يحسن الوقف عليه، ويحسن الابتداء بما بعده، ويجوز وصله بما بعده، لأن وصله لا يغير المعنى المراد، مثاله: الوقف على كلمة

"المفلحون" في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤٥)، والابتداء بما بعدها.

- "ج": وهي علامة للوقف الجائز الذي استوى طرفاه، ومثاله الوقف على كلمة "قومه" من قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾(٤٦).
- "ز": وهي علامة للوقف المجوز.
- "))": وهي علامة للوقف المرخص لضرورة.

إضافة إلى هذه العلامات التي ذكرها السجاوندي، هناك علامات أخرى، اعتبرت أيضاً رموزاً للوقف نذكر منها:

- "صلى": وهي علامة تعني أن الوقف جائزاً ولكم الوصل أولى، كالوقف على كلمة "هو" في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤٧).
- "قلى": وهي علامة للوقف وتعني أن الوصل جائز ولكن الوقف أولى.
- ".:": وهي لما يسمى بوقف المعانقة والمراقبة حيث يجتمع موضعان صالحان للوقف وهما متجاوران، فللقارئ الوقوف على أيهما شاء دون الوقوف عليهما مثل الآية الأولى من سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤٨)، وهو في مصحف الحافظ عثمان.(٤٩)
- "صه": وهي علامة للوقف الجائز عند المغاربة، وللإشارة فالمغاربة لا يفصلون الوقوفات تفصيل المشارقة، فوقفهم يشمل كل أنواع الوقف الجائزة.
- "سد": وهي علامة للسكت على الحرف، مثاله قوله تعالى: (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)(٥٠).

ونخلص إلى أن كثرة هذه العلامات التي جعلت للوقف، تبين فهم الأوائل للمح تطريزي بامتياز، وفهمهم لدوره في التأثير على المعنى، ومعنى ذلك أن العناية بالعلامات هي عناية بالوقف الذي يعد ملمحاً تطريزياً.

٤ ـ مظاهر عناية المغاربة بالقرآن الكريم:

من المعروف أن للمغاربة على امتداد تاريخهم الحرص على حفظ القرن الكريم حفظاً كاملاً بكل رواياته المتداولة وإحرازهم قصب السبق في إتقان علومه والحذق البليغ في رسمه وضبطه وقواعد تجويده وأدائه والمعرفة بطرقه ورواياته، ((وقد جاءت هذه الخصيصة ثمرة طبيعية لما تميزوا به من العناية به والحفاوة بتعلمه وتعليمه حتى أفتى علماؤهم من أمثال أبي عمران الفاسي))[٥١] بإجبارية إنشاء الكتاتيب القرآنية في كل بلدة أو قرية.

وأكبر شاهد ودليل على هذا التميز والنبوغ الخاص الذي عرف به المغاربة، استعراض أسماء أكابر القراء خلال العصور من أمثال مكي بن أبيل طالب، وأبي العباس، المهدوي وأبي عمرو الداني وأبي داود بن نجاح وابن بري التازي وابن الصفار المراكشي وابن غازي المكناسي وغيرهم.

من مظاهر عناية المغاربة بالقرآن الكريم احتفاؤهم بالمصحف الشريف واهتمامهم بتجويده وتجمليه، والمنافسة في كتابة المصاحف ونسخها وتعظيم شأنها واقتناء ما كتب منها بأجود الخطوط وأبدعها، وعمل الخطاطون على تحسين كتابة المصاحف وإتقان خطوطها وزخرفتها وتذهيبها، حيث كانت المصاحف تكتب بعشرات الخطوط القديمة قبل استقرار كتابة المصاحف على خط النسخ في المشرق وخط المبسوط في المغرب[٥٢].

وإذا كانت كتابة المصحف الشريف قد اتخذت سمات متعددة باختلاف البيئات الحضارية الإسلامية، فإن للمغاربة إسهاماً قوياً في هذا المجال، حيث تألقوا في العناية الجمالية بالقرآن الكريم كتابة وسماً وفي زخرفته وتذهيب وتلوين فواصله، مما راكم ذخيرة نفيسة من المصاحف كتبت في معظمها بالخط المغربي الأندلسي (خط المبسوط).

لقد جعل المغاربة القرآن الكريم أساساً من أسس بناء النظامية، إلى جانب عنايتهم بتحفيظه وتجويده للناشئة من خلال إنشاء جمعيات خاصة بتحقيق هذا الغرض في جميع ربو المملكة، تحدوهم في ذلك الرغبة في نيل الثواب الجزيل والخير العميم، نبراسهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه البخاري في باب خيركم من تعلم القرآن علمه، قال: ((حدثنا حَجَّاجُ بن منهال، حدثنا شعبة قال: أخبرني علقمة بن مرثدٍ، سمعتُ سَعْدَ بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبيل ﷺ، قال:

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)))[٥٣].

ومن مظاهر تلكم العناية الكريمة للمغاربة بكتاب الله تعالى، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ - البعثات: ابتداءً من البعثة التي تركها عقبة بن نافع الفهرين خلال فتحه للمغرب - ٦٢هـ - وذلك أنه لما أراد العودة إلى المشرق العربي عين جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين، ثم بعد ذلك بعثة موسى بن نصير الفاتح الثاني للمغرب، وبعثة عمر بن عبد العزيز الذي أرسل معلمين للمغرب لتعليم الناس أمور دينهم.

ب - الكتاتيب: يعتبر الكُتاب أولا معهد مستقل بمهمة تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، وقد اعتنى المغاربة بهذه الكتاتيب عناية فائقة، بحيث لا يمكن أن توجد قرية أو مدينة إلا وتجد بها كتاباً أو أكثر بجانب كل مسجد، وأكثر من هذا فقد أوقفوا لها الأوقاف الوفيرة مما يضمن بقاءها وحياتها.

ج - الزوايا: لقد قامت الزوايا بالإضافة إلى ذكر الله تعالى بتخريج أفواج عديدة من حملة كتاب الله عز وجل، بل ومفتين وقضاة.

د - الرتبة: وهو نظام تعليمي يتحمل فيه السكان (أهل القرية) تكاليف إقامة الطلبة القادمين من مختلف المناطق قصد حفظ القرن الكريم، بحيث إن الأهالي يوفرون لهؤلاء الطلبة الوجبات الغذائية اليومية بانتظام، ويكرمونهم، وينزلونهم منزلة أبناءهم إلى أن يتعن الله عليهم بحفظ كتابه العزيز واستظهاره.

هـ - قراءة الحزب: فسنة قراءة الحزب التي سنها المغاربة مرتين كل يوم في جميع المساجد والزوايا قد ساعدت كثيراً على نشر القرآن الكريم حفظاً وترتيلاً خصوصاً بالنسبة للذين لم يتمكنوا من حفظه في الصغر[٥٤].

بعد حديث مقتضب عن عناية المغاربة بحفظ القرآن الكريم ونشر المصحف الشريق، أمكن رصد ثلاث مراحل لتطور طباعة المصحف الشريق في المغرب، وهي:

- مرحلة البدايات: وقد اقتصرت على استعمال إمكانيات الطباعة الحجرية رغم صعوبتها ومحدودية تقنياتها.
- مرحلة التطور: حيث لرزت جهود المغرب في طبع المصاحف برواية ورش واعتماد الخط المبسوط، حيث أعادت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية طبع مصحف أحمد بن الحسين زويتن، الذي كان قد انتشر في البيوت المغربية لمدة طويلة، كما ظهر ابتداءً من الستينات من القرن الماضي المصحف الحسني ثم المصحف الحسني المسبع.
- مرحلة النضج: وقد تميزت بإحداث مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف مع استمرار دور النشر الأخرى، وقد اضطلعت المؤسسة في مدة قياسية بطبع المصحف المحمدي بأشكاله المتنوعة وكذا المصحف المحمدي الأثري المسبع فضلاً عن طبع ترجمات لمعاني القرآن الكريم بالفرنسية والإنجليزية.(٥٥)

الخاتمة:

نخلص من خلال ما سبق، إلى أن العرب القدماء وخاصة المجودين منهم والقراء أولوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً، لماله من ارتباط بالنص القرآني من حيث الإيقاع والمعنى، ذلك أن الوقف متوقف على الإيقاع، والإيقاع متوقف على الوقف، بحيث إن الوقف يساهم في تحديد الوحدة الإيقاعية.

ويمكن إجمال أهم الخلاصات المتوصل إليها من خلال هذا العرض في الاستنتاجات التالية:

- إن الوقف ملمح تطريزي يسبب في حدوث عمليات صواتية، وهذه العمليات الصواتية إنما يؤتى بها للاحتفاء بموضع التغيير وإبرازه.
- إن الغرض من دراسة الوقف عند المجودين والقراء هو الوقوف على تلك التغييرات الطارئة على أواخر الكلمات.
- إن الوقف مسبب للعمليات الصواتية التي ساهمت فيما يسمى بتجانس الاصوات وتناغمها.

هوامش البحث

(❖) - أستاذ باحث في اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب، المملكة المغربية.

(١)- حنون، مبارك (٢٠١٠) في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: ١٣.

(٢)- يالوشا، الحاج محمد بن علي؛ الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة، ص: ٤٧.

(٣)- الأزهري الهروي أبو منصور محمد بن أحمد (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، ج.٩، ص: ٢٥٤١. نقلاً عن المكتبة الشاملة.

(٤)- الفيروزآبادي محمد الدين محمد بن يعقوب (٢٠٠٨)، القاموس المحيط، ص: ١٧٣٣.

(٥)- الفيروزآبادي، مصدر سابق، ص: ١٧٣٣.

(٦)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: ٤٧.

(٧)- المكودي عبد الرحمان (٢٠٠٨)، حاشية ابن العباس على شرح المكودي، ج.٢، ص: ٢٧٤.

(٨)- بنحمزة مصطفى (٢٠١٠)، من قضايا الفكر واللغة، ص: ٢٣.

(٩)- المارغني إبراهيم (٢٠٠٧)، النجوم الطوالع، ص: ٢٣٢.

(١٠)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، المكتفى في الوقف والابتداء، ص: ٤٨.

(١١)- حنون مبارك (٢٠١٠)، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: ٧٤.

(١٢)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ٥٧.

(١٣)- سورة المزمل، الآية: ٠٤.

(١٤)- فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن، ص.ص: ١٩٣- ١٩٤.

(١٥)- يالوشا الحاج محمد بن علي، الفوائد المهمة في شرح الجزرية، ص: ٤٧.

(١٦)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧) د.ت، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ٥٧.

(١٧)- حبلص محمد يوسف (١٩٩٣)، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، ص: ٢٠.

(١٨)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧) د.ت، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ٤٨.

(١٩)- حبلص محمد يوسف (١٩٩٣)،أثر الوقف على الدلالة التركيبية، ص: ٢٩.

(٢٠)- فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرن، ص: ١٩٦- ١٩٧.

(٢١)- حنون مبارك (٢٠١٠)، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: ١٠٧- ١١٠.

(٢٢)- فريال زكرياء، الميزان في أحكام تجود القرآن، ص: ١٩٦.

(٢٣)- نقلاً عن ابن يالوشة حنون مبارك (٢٠١٠)، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: ١٠٨.

(٢٤)- فريال زكريا، نفس المرجع، ص: ١٩٦.

(٢٥)- فريال زكريا، نفس المرجع، ص: ١٩٧.

(٢٦)- فريال زكريا، نفس المرجع، ص: ١٩٧.

(٢٧)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧) د.ت، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ١٤٠.
(٢٨)- سورة الحشر، الآية: ٠٨.
(٢٩)- سورة البقرة، الآية: ٤٦.
(٣٠)- سورة البقرة، الآية: ٤٧.
(٣١)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ١٤٣- ١٤٤.
(٣٢)- سورة البقرة، الآية: ٩٣.
(٣٣)- سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٣٤)- فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن، ص: ٢٠٦.
(٣٥)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، المكتفي في الوقف والابتداء، ص: ١٤٥.
(٣٦)- الداني أبو عمرو (١٩٨٧)، نفس المرجع السابق، ص: ١٤٨.
(٣٧)- نقلاً عن الزركشي، حنون مبارك (٢٠١٠)، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، ص: ١١٢.
(٣٨)- نفس المرجع السابق، ص: ١١٢.
(٣٩)- نقلاً عن القسطلاني..، نفس المرجع السابق، ص: ١١٢.
(٤٠)- نفس المرجع السابق، ص: ١١٢.
(٤١)- البايبي أحمد (٢٠١٢)، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج.١، ص: ٢٣١.
(٤٢)- نقلاً عن السجاوندي، البايبي أحمد (٢٠١٢)، نفس المرجع السابق، ج.١، ص: ٢٣١.
(٤٣)- سورة النحل، الآية: ٣٢.
(٤٤)- سورة التوبة، الآيتان: ١٩- ٢٠.
(٤٥)- سورة البقرة، الآية: ٠٥.
(٤٦)- سورة الأنعام، الآية: ٨٠.
(٤٧)- سورة الأنعام، الآية: ١٧.
(٤٨)- سورة البقرة، الآية: ٠٢.
(٤٩)- نقلاً عن الكلاك، إدريس عبد الحميد، البايبي أحمد (٢٠١٢)، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج.١، ص: ٢٣١.
(٥٠)- سورة القيامة، الآية: ٢٧.
(٥١)- حسن عزوزي، تاريخ طباعة المصحف الشريف بالمغرب، بحث مقدم لندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول، ص: ٠١.
(٥٢)- حسن عزوزي، تاريخ طباعة المصحف الشريف بالمغرب، ص: ٠٢.
(٥٣)- توفيق التضمين، القرآن الكريم كمادة تعليمية في مختلف المراحل الدراسية النظامية في المغرب، أنظر كتاب فضائل القرآن، حديث رقم ٤٦٣٩، استشارية المعهد العالمي الإسلامي بالمغرب، فبراير ٢٠١٣.

(٥٤)- عبدالسلام أحمد الكنوني، المدرسة القرآنية بالمغرب، ص: ٣٠.
- توفيق التضمين، القرآن الكريم كمادة تعليمية في مختلف المراحل الدراسية النظامية بالمغرب.
(٥٥)- حسن عزوزي، تريخ طباعة المصحف الشريف بالمغرب، ص: ٣٦- ٣٧.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (٢٠٠١)، تهذيب اللغة، دار أحياء التراث.
- البابيي أحمد (٢٠١٢)، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط.١.
- الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد (١٩٨٧)، المكتفي في الوقف والابتداء، تحقيق محي الدين عبدالرحمن رمضان، دار عمار (٢٠١٠).
- الفيروزآبادي محمد الدين محمد بن يعقوب (٢٠٠٨)، القاموس المحيط، مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- المكودي عبد الرحمان (٢٠٠٨)، حاشية ابن العباس على شرح المكودي، دار الفكر.
- بنحمزة مصطفى (٢٠١٠)، من قضايا الفكر واللغة، دار بن حزم، دار الأمان، الرباط.
- حبلص محمد يوسف (١٩٩٣)، أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر.
- حسن عزوزي، تاريخ طباعة المصحف الشريف بالمغرب، ندوة، مجمع الملك فهد، طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول.
- حنون مبارك (٢٠١٠)، في التنظيم الإيقاعي للغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
- فريال زكريا (٢٠١١) الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان، القاهرة.
- يالوشا، الحاج محمد بن علي؛ الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة، المطبعة التونسية البلاط.